

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة الجبالي بونعامة - خميس مليانة -  
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية  
قسم العلوم الإجتماعية

المقياس : مدخل إلى الأنثربولوجيا.  
طلبة السنة الأولى تكوين أساسي علوم إجتماعية.  
المجموعة الثانية.  
أستاذة المقياس: الدكتورة بن زرع لمياء.

## المحاضرة التاسعة:

### الدراسات الانثربولوجية في الجزائر المستعمرة.

#### تمهيد:

الانثربولوجيا ليست علما استعماريًا، كلها ودوماً وأبدًا، فهي تدرس الإنسان كيفما كان وأينما وجد، اهتمت بالإنسان الجزائري كما بالإنسان الفرنسي والأمريكي والاسترالي والمغربي والانكليزي، موضوعها الإنسان وقضايا المعيشة، كما أنها لم تبقى حبيسة تلك الرؤية الضيقة التي حاولت أن تحاصرها وتسجنها حين جعلت منها علماً خاصاً بالمجتمعات البدائية والمتخلفة والمتوحشة، تحررت من هذه الرؤية واتسع مجال نشاطها لتشمل مجتمعات أكثر تقدماً ورقياً وحضارياً.

#### - اقتران علم الانثربولوجيا بالتوجه الكولياتي الاستعماري:

إن فكرة اقتران الانثربولوجيا بالتوجه الاستعماري تعد من ضمن العوامل الأساسية التي أسهمت في تأخر اعتماد الانثربولوجيا كتخصص علمي ضمن المنظومة التعليمية في الجامعة الجزائرية، إذ أن من المفارقات الأساسية التي يمكن تسجيلها ضمن هذا السياق هو وجود تشابك وتقاطع بين اهتمامات الدراسة الانثربولوجية من جهة والأهداف الاستعمارية من جهة أخرى، لكون إحدى أساسيات "البحث الانثربولوجي" تكمن في دراسة الآخر، أو ما يعرف بالبحث في الغيرية، إذا مع سيادة النزعة التطورية في تفسير الظواهر خلال نشأة الانثربولوجيا، استقر لدى الأوروبيين أن الحضارة البشرية كلها تتطور حسب نظم وقواعد ثابتة وموحدة لا تتغير باختلاف المكان والزمان.

ولقد ارتبطت الانثربولوجيا في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية بالتوجه "الكولونيالي" من خلال الدراسات الانثربولوجية التي قام بها عدد من الإداريين والضباط العسكريين ورجال الدين والانثربولوجيين المدفوعين من قبل الإدارة الاستعمارية بهدف التعرف أكثر على الخصوصية الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري، وتسليط الضوء على عاداته،

وتقاليد وأعرافه، الأمر الذي ساعدها على تكوين حكمها الاستعماري طيلة هذه الفترة، كما ارتبطت الانثربولوجيا الاستعمارية في تناولها للمجتمع الجزائري بأهداف وخطط الاستعمار الفرنسي الرامية إلى سلب الأمة الجزائرية هويتها وأحكام السيطرة عليها.

## 1- الانثربولوجيا والمنظومة الكولونيالية:

تعد الانثربولوجيا حقولاً دراسية اجتماعية تاريخية وثقافية تمثل كل التماثلات المعيشة الفعلية منها والمرجوة لدى الجماعات، والتي يعبر عنها بطريقة شفوية أو سلوكية والدراسة الانثربولوجية لأي شعب من الشعوب لا تعد قفزة في نزاع متقطع ولا حرباً وراء سراب معرفي يشكل تصوراً عشوائياً يرتطم بجدران معارف أخرى محيطة به وأحياناً بنفسه، وهي أن الملاحظ على كثير من الدراسات الانثربولوجية التي اتخذت من الجزائر حقلاً دراسياً لها أنها لم تخرج في إطارها العام عن مرجعية استشراقية نظراً لأنها في كثير من الأحيان كتكوين مقدس ومنظومة ايديولوجية وسوسيوثقافية توخت تقديم نماذج ثقافية ومعرفية للأناسة الجزائرية وتقديمها بوجه جاف، مشوهة سلسلة رباطاتها الوجودية التاريخية والثقافية، عابثة بوحدة جذورها التاريخية العميقة في شكل لا يستند إلى تأسيس علمي.

## 1- البدايات الأولى للكتابات الحقلية في انثربولوجيا الجزائر:

بعد اكتشاف العالم الجديد وقع نوع من الغرابة أثناء دراسة الشعوب المسماة بشعوب العالم الثالث، نظراً لطبيعة تركيبها الاجتماعية وطريقة عيشها والأنظمة التي تسير طريقة حياتها، حيث مازالت تعيش على السليقة في نظام اجتماعي قبلي عشائري يسيره الإنتاج المشترك والاكتفاء الذاتي، وتقاسم الإنتاج سواء من الزراعة أو الصيد وهو ما يعتبر جديداً كل الجدة عن هؤلاء الرحالة والدارسين أو بالأحرى نظرة العلو والنزعة الايديولوجية المركزية التي كانت تميزهم ورؤيتهم للآخرين بأنهم أبعد ما يكون عن الحضارة.

وعليه نستطيع التأكيد بأن معظم الكتابات لم تكن من طرف أكاديميين مؤهلين علمياً بل متعددة من طرف رحالة رجال دين، سياسيين، عسكريين، وتطغى عليها الصبغة الكنسية

الدينية والتي من خلالها تم إرسال حملات تبشيرية على إثرها تم تشييد عدة مدارس وكنائس من خلالها درست الشعوب المغاربية بصفة عامة، والمجتمع الجزائري بصفة خاصة من حيث نمط العادات والتقاليد والعرف والقانون والوضع الاجتماعي بشكل شبه علمي.

## 2- تأخر اعتماد الانثربولوجيا كتخصص علمي في الجامعة الجزائرية:

من الملاحظات التي تستدعي الانتباه من خلال الإطلاع على التجربة الجزائرية في ميدان الدراسات الانثربولوجية على وجه الخصوص، أن هذا النوع من الدراسات يشكو من قلة المتخصصين فيه نظراً لحدائثة وقصر المدة الزمنية له، الدراسات الانثربولوجية ضمن الممارسة العلمية الأكاديمية داخل الجامعة الجزائر في إطار بحوث وأعمال أكاديمية منظمة، وكذلك على مستوى الدراسات والأبحاث وحتى التأليف الفردية المستقلة في المحيط الثقافي العام خارج الجامعة، إذا لم تزد المدة الزمنية التي صارت فيه الانثربولوجيا كتخصص علمي قائم بذاته يدرس في الجامعة الجزائرية عن ربع قرن.